البواكير الأولى للاستشراق في الهند
من ويليام جونز إلى ويليام كولدساك

مستل من رسالة دكتوراه بعنوان:

منهج ويليام كولدساك وآراؤه في دراسة العقيدة الإسلامية (دراسة تحليلة نقدية)

إعداد الدارسة

محمد مجدي السيد مصباح

طالب دكتوراه بقسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

تحت إشراف

أ.د عادل أمين حافظ

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم جامعة الفيوم

(مشرفًا رئيسًا)

أ.م.د عادل سالم عطية

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم جامعة الفيوم

(مشرفًا مشاركًا)

١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م

ملخص:

يتناول هذا البحث البواكير الأولى للاستشراق في الهند وأثرها في المستشرق و/أو المبشر ويليام كولدساك. تبدأ الدراسة متزامنةً مع بعض الغربيين والنفوذ البريطاني في الهند من خلال شركة الهند الشرقية، وتمتد حتى ويليام كولدساك. يُسلِّط البحث الضوء على التداخل بين النشاط الاستشراقي والمصالح الكولونيالية والتبشيرية والتحول الكبير في إدارة الهند بعد خضوعها للتاج البريطاني عام ١٨٥٨م. كما تقدم الدراسة تحليلًا ووصفًا للإنتاج الاستشراقي في هذه المراحل وتأثيره على الدراسات الإسلامية الهندية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الهند، كولدساك، التبشير.

Abstract:

This research examines the early beginnings of Orientalism in India and its impact on the Orientalist and/or missionary William Goldsack. The study begins concurrently with the arrival of some Westerners and British influence in India through the East India Company, extending up to the period of William Goldsack. The research highlights the intersection of Orientalist activity with colonial and missionary interests, as well as the significant shift in the administration of India following its subjugation to the British Crown in 1858. Additionally, the study provides an analysis and description of Orientalist output during these stages and its influence on Islamic studies in India.

Keywords: Orientalism, India, Goldsack, Missionary Work.

مقدمة:

يُمثِّل الاستشراق و/أو التبشير في شبه القارة الهندية ظاهرةً فريدةً ومعقَّدةً في تاريخ العلاقات بين الشعوب وثقافاتها، حيث نشأ في سياقٍ تاريخيٍّ وثقافيٍّ متميِّزٍ؛ فالهند، بموقعها الجغرافي الاستراتيجي وتنوعها الثقافي والديني واللغوي الهائل، شكَّلت مختبَرًا فريدًا للدراسات الاستشراقية منذ بواكيرها الأولى.

وقد تميّز الاستشراق في الهند عن غيره من مناطق العالم الإسلامي بعدة خصائصَ جوهريةٍ. فمن جهةٍ، كان هناك التعدد الديني الفريد، حيث تعايش الإسلام مع المسيحية والهندوسية والبوذية والسيخية وغيرها من الديانات والملل، مما أتاح للمستشرقين فرصةً فريدةً لدراسة التفاعلات الدينية والثقافية المعقدة. ومن جهةٍ أخرى، كان هناك التنوع اللغوي الاستثنائي؛ حيث تداخلت اللغات السنسكريتية مع الفارسية والعربية والأردية، مما خلق نسيجًا لغويًّا وثقافيًّا فريدًا.

إن تحديد النطاق الزمني لدراسة الاستشراق في شبه القارة الهندية من ويليام جونز William Jones إلى ويليام كولدساك William Goldsack يستند إلى أسس تاريخية وموضوعية. فقد تزامن ذلك مع طلائع الهيمنة البريطانية الفعلية على الهند، التي تجسَّدت في نشاطاتِ شركة الهند الشرقية البريطانية. وقد اتَّسمت هذه المرحلة بازدواجية الأهداف بين المصالح التجارية المتمثِّلة في تحقيق المكاسب المادية، والمساعي التبشيرية الرامية إلى نشر المسيحية. وشهدت العقود التالية تحولًا جذريًّا في الإدارة البريطانية للهند، حيث انتقلت السيادة رسميًا إلى التاج البريطاني[1]، وتُوجت هذه المرحلة بإعلان الملكة فكتوريا Victoria إمبراطورة على الهند[2]. فضلًا عن أن جونز هو رائد الدراسات الاستشراقية في الهند كما سيأتي إيضاح ذلك في موضعه. أما اختيار ويليام كولدساك نقطة نهاية لهذه الدراسة، فيرجع إلى كونه الشخصية المحورية التي تتناولها الأطروحة.

وتعود أهمية هذا الموضوع والأسباب التي كان عنها اختياره إلى عدة نقاط، أبرزها:

١. **ويليام كولدساك نفسه**؛ إذ يُعَدُّ شخصيةً جديرةً بالدراسة، وذلك نظرًا لدوره المزدوج في الاستشراق والتبشير، حيث لم يحظَ إنتاجه ونشاطه في الهند عمومًا والبنغال خصوصًا بالاهتمام البحثي الكافي، خاصة في مرحلةٍ تاريخيةٍ حرجةٍ من تاريخ هذه المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، فإن غالبية أعماله لم تُترجم إلى اللغة العربية، مما يضفي على دراسته أهمية إضافية في سدّ هذه الفجوة المعرفية.

٢. **الاستشراق في الهند**؛ حيث يُشكِّل الاستشراق في الهند مجالًا بحثيًا لم يُستكشف بصورة موسعة مقارنة بالجهود الاستشراقية الغربية في مناطق أخرى من العالم. كما أن الدراسات المتعلقة بهذا المجال تفتقر إلى التتبع التاريخي الدقيق والشامل، مما يجعل البحث في هذا السياق مساهمةً في تعميق الفهم لتاريخ الاستشراق وتأثيراته في السياق الهندي.

٣. **التأثير الثقافي والديني**؛ فيمكن أن تكشف دراسة حركة الاستشراق في الهند وتتبعها عن تأثير الجهود التبشيرية والاستشراقية في تشكيل الوعي الديني والثقافي في الهند، خاصة في ظل التنوع الديني والثقافي الكبير الذي تتميز به المنطقة. هذا الجانب يُعدُّ مهمًّا لفهم كيفية تفاعل الثقافات وتأثيرها المتبادل.

أما عن **إشكالية الموضوع**، فتتمثل في عدة تساؤلات، أبرزها: من هم أبرز أرباب الخطاب الاستشراقي في الهند في بواكيره الأولى؟ ما الإطار المعرفي والفكري لشخصية ويليام كولدساك؟ وما الأعمال الفكرية الرئيسة التي قدمها؟ وما موقعه ضمن التيارات الفكرية المعاصرة له؟

أما **منهج البحث**، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي، حيث وظَّفت هذا المنهج في تتبع المسار التطوري للخطاب الاستشراقي في الهند من جونز إلى كولدساك، مع الحرص على استجلاء سياقاتها المعرفية والتاريخية.

وقد جاء هذا الموضوع في مقدمةٍ وثلاثةِ مباحثَ وتعقيبٍ وقائمةٍ بأهم المراجع. اشتملت **المقدمة** على لمحةٍ عامةٍ عن الموضوع وأهمية البحث والأسباب التي كان عنها اختياره، ثم إشكالية البحث ومنهجه وخطة البحث. **المبحث الأول:** اشتمل على مناقشة الخطاب الاستشراقي في الهند من حيث تشكلاته ودوافعه. **المبحث الثاني:** تضمن الحديث عن الاستشراق في الهند. **المبحث الثالث:** ويليام كولدساك في الهند. ثم **تعقيب** بأهم النتائج.

المبحث الأول
الخطاب الاستشراقي في الهند تشكُّلاته ودوافعه

بدأ الحكم البريطاني المباشر في الهند في أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر، وتحديدًا عام (١٨٥٨م)، و لم يكن هذا التحول مفاجئًا، بل جاء نتيجةَ سلسلةٍ من الأحداث والتحولات التاريخية التي بدأت في خمسينيات القرن التاسع عشر واستمرت حتى ستينياته.

وتُعَدُّ سنة (١٨٥٨م) من السنوات الفارقة في تاريخ الهند، حيث شهدت نهاية ثورة الهند الكبرى (١٨٥٧م)، التي اندلعت ضد سيطرة شركة الهند الشرقية البريطانية[٣]. وعلى الرغم من فشل الثورة، فإنها مهَّدت الطريق لانتقال السلطة من الشركة إلى التاج البريطاني، مما أدَّى إلى بدءِ مرحلةٍ جديدةٍ من السيطرة الكولونيالية المباشرة. واستمر هذا الحكم حتى أواخر أربعينيات القرن العشرين، وتحديدًا في عام ١٩٤٧م، ليبلغ إجمالي فترة الوجود البريطاني في الهند قرابةَ تسعين عامًا.

وخلال هذه المراحل الطويلة من الاحتلال البريطاني، شهدت الهند توافدَ عددٍ كبيرٍ من المستشرقين الذين أقاموا فيها لأعوامٍ طويلةٍ، بل وتُوفي العديد منهم هناك. وكان بعض هؤلاء المستشرقين مصدرًا رئيسيًا لـــويليام كولدساك –وهو محور هذه الأطروحة– في تشكيل خطابه ورؤيته للعقيدة الإسلامية. وحسبُك في هذا المقام ويليام موير William Muir (١٨١٩-١٩٠٥م) والسير توماس آرنولد Thomas Arnold (١٨٦٤-١٩٣٠م)، وغيرهم.

وقد أوضح المستشرق البريطاني أرثر جون آربري A.j. Arberry (١٩٠٥-١٩٦٩م) تصوره للدوافع والفرص التي جعلت من كبار باحثي بريطانيا يهتمون بالشرق عمومًا وعلومه وديار الهند خصوصًا، وحصرها في أربعة أمور:

(الرغبة في الاستكشاف، والسعي وراء التجارة، وتسرية الذهن، والتبشير بالمسيحية).

يقول آربري في مطلع كتابه عن المستشرقين البريطانيين موضِّحًا الدَّافعَين الأوَّلَين: «إذا أردنا إكمال هذا العرض فلنعتبر الدوافع والمناسبات التي تشرح ما للعلماء البريطانيين في كل هذه الفروع من العلم الشرقي من قدرٍ جليلٍ وأيادٍ بارعةٍ. لا شكَّ أننا إذا تأملنا المسألة بهدوءٍ ونزاهةٍ استطعنا أن نجد مشابهةً بين تلك الروح المشبَّعة بالمغامرة وحب الاستطلاع إذ تدفق الرجال من هذه السواحل إلى أقاصي أطراف الأرض، وبين عنصرٍ مقابلٍ في الذهن البريطاني يجدُ لذةً ورضًى في اقتحامٍ ما للمعرفة من دروبٍ مبهمةٍ مجهولةٍ وسبلٍ عويصةٍ غامضةٍ... وإلى جانب الرغبة الخالصة في الاستكشاف وجدنا السعي وراء التجارة ثم ما تلتها من مسؤولية الحكم قد جلبا كثيرًا من العقول النافذة الحادة إلى دراسة الثقافات الشرقية الحية»[٤].

وهو ما يتَّسقُ أيضًا مع دوافعِ كثيرٍ من البريطانيين مثل سان كلير تيسدال (١٨٥٩– ١٩٢٨م) من دراسة الإسلام؛ إذ يرى أن «**هذه الديانة، وإن كان في أشكالٍ متنوعةٍ منها، تمارس سلطة على جزءٍ واسعٍ جدًّا من العالم الشرقي؛ فإن من الطبيعي أن يتوارد عفويًّا إلى ذهنٍ حصيفٍ محبٍّ للمعرفة السؤالُ عن مصدرها، وعلى الأقل، السؤال عن بعض الحقائق الرئيسة التي تتعلق بمعتقداتها الأساسية، وتاريخها، ومؤسِّسها**»[٥].

وفي إطار توضيح مآرب الباحثين في سَبْر غور أية مسألةٍ يُقارن آربري بين نوعين من النهج في سبيل ذلك: «**فالأستاذ الجامعي المحبوس بين جدران مكتبته الزاخرة وإن لم يكن قد رحل إلى الشرق –أبعد من فيينا– فهو برغم ذلك يستطيع بغريزته الموروثة وبديهته القومية أن يصلَ إلى تفسيرٍ بالغِ الصحة لعقول**

سكان سمرقند أو بلاد التتار النائية ولروحهم. ولكن مقابل كل واحد من أمثال هذا العالم يوجد عشراتٌ ممن نهجوا النهج نفسه لأنهم قد عاشوا في تلك الأراضي المترامية بين أولئك الأقوام الأجنبيين»[٦].

أضف إلى ذلك أيضًا جانبًا ثقافيًّا وفكريًّا لاهتمام البريطانيين بالشرق. فقد رأى الكثير من المثقفين البريطانيين في الشرق مصدرًا للإلهام الفكري والأدبي. وقد تأثرت الحركات الفكرية في أوروبا بالثقافات الشرقية[٧]، مما دفع بعض المستشرقين إلى دراسة الشرق من أجل تسرية الذهن وإثراء المعرفة الإنسانية. وبشأن هذا الدافع الثالث المعني بتسرية الذهن يذهب آربري إلى أن قدرًا غيرَ قليلٍ «**من أعاظم مستشرقينا كانوا رجالًا وجدوا في الاستشراق تسريةً للذهن وتجديدًا للنشاط بعد ما يتطلبه تدبير الشؤون والأعمال من جهدٍ شديدٍ وإنهاكٍ ذهنيٍّ**»[٨].

يُعَدُّ الدافع الرابع من أبرز الدوافع التي حظيت بأهميةٍ بالغةٍ، حيث يؤكد آربري على قيمته ويصف أتباعه بصفاتٍ إيجابيةٍ، فيذكر: «**هناك أيضًا طائفةٌ من ذوي الجسارة والإقدام الذين ذهبوا إلى الشرق ليبشِّروا فيهم بدينهم وآلَ بهم المآل إلى أن اعتنقوا هم ديانة الشرق اعتناقًا جزئيًا. أولئك هم المبشرون الذين نحن مدينون إلى جهودهم المدققة بدَينٍ عظيمٍ من الشكران**»[٩].

لقد كان التبشير بمثابة وقودٍ أشعلَ حماس العديد من بواكير الباحثين الغربيين، حيث رأى عددٌ كبيرٌ منهم أنهم يحملون على عاتقهم رسالةً مقدَّسةً، تتمثَّل في نشر المسيحية بين الشعوب التي عَدُّوها «وثنيةً» أو «خارج نطاق الديانة المسيحية». و لم تكن هذه المهمة مجردَ رحلةٍ عابرةٍ، بل تحولت إلى إيمانٍ راسخٍ بأنهم مُكلَّفون بإضاءة شمعة دينهم في أراضٍ اعتقدوا أنها غارقةٌ في الظلام[١٠].

ورغم طابع المجاملة الطاغي على كلام آربري السابق[١١] فإنه يستمد أهميته كونه شهادةً حيّةً تكشف مآرب بريطانيا حينذاك، فيقول موضِّحًا خصائص هؤلاء الرجال: «**ومما يميز هؤلاء الرجال أنهم قد تنكَّبوا السُّبُلَ المطروقة والمسالك المعروفة للعلم واقتحموا مناطقَ أكثرها لم يسبق إليها سابقٌ. هم قد ذاقوا لذة**

الاستكشاف، ولكنهم أيضًا قاسوا وحدة الرائد وانفراده. وهم إلى حدٍّ عظيمٍ قد اضطُرُّوا إلى أن يخترعوا لأنفسهم وسائل الدراسة وفن التناول وأن يقيموا لأنفسهم مقاييس الموازنة، فكان الاعتماد على النفس وقوة النقد الذاتي أوثقَ ناصحٍ لهم، بل كثيرًا ما كان ناصحهم الوحيد»[١٢].

يفهم من جميع ذلك أن دوافع الباحثين الغربيين في التواجد داخل أصقاع الهند منها ما هو ذاتي جواني وما هو خارجي غيري. غير أن ما لم يُذكر أن الخطاب الاستشراقي في تلك المرحلة كان يعكس أحيانًا النظرة الأوروبية المركزية (Eurocentrism)، التي تجادل بأن الحضارة الأوروبية هي قمة التطور الإنساني بينما صُوِّرت الثقافات المغايرة على أنها «آخر» (Other) غريب وغير مألوف، مما عزز الشعور بالتفوق الثقافي الأوروبي[١٣].

ولعل ما فات آربري أيضًا ذكره للدوافع الاقتصادية؛ فقد ساعد الخطاب الاستشراقي في تعزيز المصالح الاقتصادية البريطانية في الهند. عبر تصوير الهند كأرض غنية بالموارد ولكنها غيرُ قادرة على استغلالها الاستغلال الصحيح، فسوِّغ استغلال الموارد لصالح الاقتصاد البريطاني. هذا فضلًا عن الدوافع السياسية الممثلة في تسويغ الوجود البريطاني هناك ونظرته الدونية لبعض السكان.

ومع ذلك، فإن هذا الخطاب لم يكن أحاديَّ الجانب، بل كان ثمة تفاعلٌ معقّدٌ بين الثقافة الهندية (بغض النظر عن المعتقدات) والثقافة البريطانية أنتج هويات وفضاءات ثقافية جديدة أو أفضت إلى تطوير المتوفر منها. وحسبنا هنا السير ويليام جونز Sir William Jones ودوره في تأسيس مؤسسة «إسياتك سوسائتي» التي أسهمت في تدعيم مسلمي البنغال في تعاليمهم الدينية الإسلامية والعربية.

ولا شك –في رأي بعض الباحثين– أن المدارس والأقسام والمراكز العربية التي ظهرت خلال أيام الاحتلال البريطاني مثل مدرسة عالية كلكتا وجامعة كلكتا وإسياتك سوسائتي والهيئة التعليمية لمدارس البنغال الغربية لعبت دورًا بارزًا في تطوير اللغة العربية والدراسات الإسلامية[١٤].

المبحث الثاني
أعلام الخطاب الاستشراق في الهند

يُشكِّل الاستشراق والتبشير في الهند مجالًا بحثيًا ذا أهميةٍ بالغةٍ في الدراسات التاريخية والثقافية، حيث يمثلان ظاهرةً فكريةً ودينيةً متعددةَ الأبعاد، ارتبطت بالتفاعلات الحضارية بين الشرق والغرب خلال القرون الماضية. وقد لعبت شخصياتٌ بعينها أدوارًا محوريةً في تشكيل هذه الظاهرة، سواء من خلال جهودها التبشيرية أو مساهماتها العلمية والثقافية. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية دراسة أبرز المستشرقين والمبشرين الذين ارتبطت أنشطتهم بالهند، خاصة في الجانب الديني، حيث كانت الهند مسرحًا لجهود تبشيريةٍ مكثَّفةٍ في مراحلَ تاريخيةٍ حرجةٍ.

أستهدف في هذا المبحث تسليط الضوء على بعض هذه الشخصيات، مع التركيز على مساراتهم الزمنية وإسهاماتهم الفكرية، وذلك وَفْق ترتيب تاريخي يُظهر تطور هذه الجهود عبر الزمن. ويأتي هذا الاهتمام من كون هذه الشخصيات لم تُدرس بشكل كافٍ في السياق العربي، مما يجعل البحث فيها مساهمةً في سدّ فجوة معرفية، وفي الوقت نفسه، يُسهم في فهم أعمق لتاريخ التفاعل بين الحضارات في شبه القارة الهندية.

من أبرز المستشرقين و/أو المبشرين الذين توجهوا إلى الهند واستقروا فيها، أو كانت الهند ضمن نطاق اهتماماتهم، خاصة في الجانب الديني، يمكن ذكر الشخصيات التالية:

[١] السير ويليام جونز Sir William Jones (١٧٤٦- ١٧٩٤م).

كان يتقن العديد من اللغات الشرقية، ومن أهمها العربية والعبرية والفارسية، وقد أُسند إليه أحد المناصب التجارية بشركة الهند، وإضافة إلى عمله الرسمي الذي رحل من أجله إلى الهند عام: (١٧٨٣م) لم يقف مكتوف الأيدي أمام تلك الآفاق

الثقافية والحضارية الواسعة التي وجدها أمامه، والتي يمتلك لها الأدوات اللغوية الكافية لسبر أغوارها، فقد درس القوانين الهندوسية والشريعة الإسلامية، والسياسة والجغرافية للهند(١٥).

وبجهود هذا المستشرق الرحّالة أُسست «جمعية البنغال الآسيوية» عام: (١٧٨٤م) من أجل «**إجراء بحث في تاريخ وآثار وفنون وعلوم وآداب آسيا**». وكانت لهذه الجمعية ما كانت لـــ«الجمعية الملكية» (Rayal Asiatic Society Of Great Britain) بالنسبة لإنجلترا. ونظرًا لمعارفه المتعددة وإتقانه للغات الشرقية الأساسية، ومعرفته الفعالة بالشرق والشرقيين، فقد عدّه آرثر جون آربري A.j. Arberry «**المؤسس غير المنازع للاستشراق بالهند**». كما عدّه بعض الباحثين «**مفكرًا سياسيًا راديكاليًا وصديقًا للاستقلال الأمريكي**»(١٦). وقد عُيّن جونز قاضيًّا مساعدًا في المحكمة العليا في كلكتا عام: (١٧٨٣م). باختصار، كان جونز مفتونًا بالهند وثقافته(١٧).

وقد كان عددٌ كبيرٌ من أوائل المستشرقين الإنجليز في الهند مثل جونز من المتخصصين في القانون(١٨)، وفي سبيل التعامل مع ما اعتُبر تضخُّمًا في الآراء الفقهية (القانونية) الفردية ومُتلِفًا ويندُّ على السيطرة؛ اقترح جونز -بوصفه أحد أوائل مستشرقي أكسفورد الكلاسيكيين- على رجل الدولة البريطاني هاستينجز (١٧٣٢- ١٨١٨م) تحويل هذه الفوضى إلى قوانين، إلى ما سماه «**المدونة الشاملة للقانون الإسلامي والهندوسي**»(١٩). ولقد بدأ هاستينجز متأثرًا بمقترح جونز هذا بقدر تأثره بالافتراضات الثقافية والقانونية التي ينطلقان منها؛ فبسرعة أَمَرَ بترجمة «**كتاب الهداية**» لبرهان الدين المَرغيناني إلى الفارسية، وهي الترجمة التي نقلها تشارلز هاملتون بدوره إلى الإنجليزية (١٧٩١م). وبعد مرور عام قام جونز بنفسه بترجمة «**كتاب السراجية**» في الفرائض والمواريث (لمؤلفه محمد بن محمد

السجاوندي الحنفي، توفي حدود ٦٠٠ هجرية)[٢٠] ولكن عن العربية مباشرةً هذه المرة.

والسراجية رسالة في المواريث تُرجمت لتعوِّض صمتَ كتاب الهداية عن بعض الأبواب المهمة في الفقه. وفي رأي وائل حلاق (Wael B. Hallaq) أن اختيار كتاب الهداية لم يكن ضربةَ حظٍّ؛ فمؤلفه واحدٌ من أكبر فقهاء المذهب الحنفي الذي يتبعه معظم المسلمين السنة في الهند. لقد اعتُقد من ثَمَّ أن الاستشهاد به هو أكثر الطرق فاعليةً لتقليل أو حتى إخراس أية معارضةٍ تشريعيةٍ[٢١]. ويبدو أن ترجمة كتاب الهداية –في رأي حلاق أيضًا– قد خدم ثلاثة أهداف على الأقل:

أ. لقد أنجز المهمة التي طالما رغب البريطانيون في تحقيقها: كبح جماح اجتهادات القضاة الفردية، أو بشكل أكثر تحديدًا كبح جماح الملالي والمفتين الذين تستعين بهم المحكمة؛ فبإتاحة النص للقضاة البريطانيين تمت الإطاحة بالفقهاء المسلمين كوسطاء فقهيين في العملية القضائية، تاركين البريطانيين يملكون السلطة الوحيدة والحق المطلق في أن يقرروا باسم الشريعة ما هو القانون.

ب. وكخطوةٍ إضافيةٍ لتحقيق السيطرة الشمولانية مَثّل فعل الترجمة –كما التقنين– استبدالًا لميكانيزمات التأويل الأصلية بميكانيزمات القانون الإنجليزي. ومن ثم، فإن ما قد يبدو تبنِّيًا بريئًا للترجمة ولدمجها في منظومة القانون الأنجلو–محمدي هو يرقى من حيث الأثر إلى درجة الاستتراف إن لم يكن الإفناء لكل من العملية التأويلية التي تشكل قلب الشريعة، والمعرفة السوسيولوجية التي أنتجت هذه العملية ابتداءً.

ج. إن مجرد القيام بخلق «فقه–مقنن» كان له أثر إبطال العرف أو تعطيله، الذي لم يكن متنوعًا وفقط؛ وإنما كان أيضًا ضروريًا لضمان تنفيذ القانون

بسلاسة. لقد تم تبني كتاب الهداية بوصفه ملخصًا وكودًا قانونيًا للأحوال الشخصية؛ لأنه مَثّل بالنسبة إلى البريطانيين معادلًا لمرسومٍ قانونيٍّ تُصدره الدولة القومية، وينفَّذ تحت وطأة إرادة قوتها وسطوتها[٢٢].

[٢] جون فونتين John Fountain (١٧٦٧- ١٨٠٠م)؛ كان عضوًا في الكنيسة المعمدانية بلندن، وفي يناير (١٧٩٦م)، أوصته جمعية التبشير المعمدانية باعتباره «**شخصًا انخرط قلبه في عمل الإرساليات**» التوجه إلى الهند، فرحل إليها في أبريل من العام نفسه. وسرعان ما أتقن اللغة البنغالية بما يكفي لوعظ للناس، لكن بعد مسارٍ قصيرٍ، توفي في دياجيبور (Dinagepore) في ٢٠ أغسطس ١٨٠٠م[٢٣].

[٣] الإنجليزي ويليام وارد William Ward (١٧٦٩- ١٨٢٣م)؛ كان مبشِّرًا معروفًا بعنايته بطباعة الكتب، وصل إلى كلكتا بالهند في مايو (١٧٩٩م) رفقةَ المستشرق جوشوا مارشمان Joshua Marshman، وكان مشرفًا على المطبعة التي خُصِّصت لنشر ترجمات الكتب المقدسة بعد وصوله، وكان كثير الترحال في مدن الهند، كما كان في العواصم المختلفة. وإضافةً إلى مواعظه، كان **وارد** أيضًا مؤلِّفًا؛ فكتب «**سرد لكتابات وديانة وأخلاق الهنود**»[٢٤]، و«**رسائل وداع في بريطانيا وأمريكا عند العودة إلى البنغال**»[٢٥]، و«**مذكرات موجزة عن كريشنا–بال، أول هندوسي في البنغال**»[٢٦]، وغيرها. وقد كتب صموئيل ستينيت Samuel Stennett عنه سيرة ذاتية مفصلة.

[٤] الإنجليزي جوشوا مارشمان Joshua Marshman (١٧٦٨- ١٨٣٧م)؛ كان من الباحثين وعلماء اللغة واللاهوتيين المميَّزين، وكان مؤلِّفًا مُكثِرًا وجدليًا. تعلَّم البنغالية والسنسكريتية، كما كان أول مَن ترجم الكتاب المقدس إلى الصينية؛ ففي عام: (١٨٢١م)، نشرت مطبعة سيرامبور أول ترجمة للكتاب المقدس

إلى الصينية، العمل الذي أمضى مارشمان خمسة عشر عامًا فيه. كما نشر «أطروحة حول أحرف وأصوات اللغة الصينية» (١٨٠٩م)»، و«ترجمة لكونفوشيوس (١٨٠٩م)»[٢٧]. وفي عام: (١٨١٨م)، أسس مارشمان صحيفةً بنغاليةً باسم «Sumachar-Durpan» (أي: مرآة الأخبار) وكذلك المجلة الشهرية (صديق الهند).

وجدير بالإشارة أن **كاري Carey** ومارشمان **Marshman** ووارد **Ward** أسهموا في تأسيس كلية سيرامبور في عام: (١٨١٨). وقد منحت جامعة براون Brown University في بروفيدنس برود آيلاند عام: (١٨٠٦م) براون وويليام كاري درجة الدكتوراة الفخرية في اللاهوت، وفي عام: (١٨١١م) منحت الدرجة نفسها لمارشمان[٢٨].

[٥] حنّا مارشمان Hannah Marshman (١٧٦٧- ١٨٤٧م)، زوجة المبشر الإنجليزي جوشوا مارشمان، الذي سبقت الإشارة إليه، تُعَد **أوَّل امرأة بريطانية مُبشِّرة في الهند**، كانت رفقة زوجها في تأسيس جملة من المدارس المعنية ببثِّ خطابهم، ونظرًا للحالة المؤسفة للنساء الهنديات حينذاك استطاعت حنّا التأثير عليهن لما وجدوه منها من حسنِ معاملةٍ وتقديرٍ دائمٍ[٢٩].

[٦] الإنجليزي ويليام كاري William Carey (١٧٦١-١٨٣٨م)[٣٠]؛ عُرف بـــ«**أبو الإرساليات الحديثة**» و«**أول عالم أنثروبولوجيا ثقافية في الهند**». كان مبشِّرًا بروتستانتيًّا، تعلم اللاتينية والألمانية والعبرية والهولندية والفرنسية، ثم ارتحل إلى الهند منصِّرًا عندما بدأت الشركة الشرقية أعمالها التنصيرية، وتسلَّم إدارة أحد المصانع الذي صار مركزه التنصيري بـــ«مالدا Malda» في البنغال، وزار لإكمال وظيفته التنصيرية ٢٠٠ قرية من قرى الهند. وأصدر قاموس اللّغتين «البنغالي والإنكليزي»، توفي في كلكتا[٣١].

وفي رأي بعض الباحثين أن ويليام كاري «**لم يَنْظر إلى الهند على أنها بلدٌ أجنبيٌّ يجب أنْ يُستغَلَّ، ولكنها أرض الآب السماوي التي يجب أنْ تُحبّ وتُخلّص... كان يؤمن بفهم الطبيعة والسيطرة عليها عوضًا عن الخوف منها أو استرضائها أو عبادتها؛ وبتطوير العقل عوضًا عن قتله كما علّمت التصوّف. وأكد على الاستمتاع بالأدب والثقافة عوضًا عن تجنّبها على أنها وهم**»[٣٢].

[٧] السير هنري إليوت Henry Elliot (١٨٠٨- ١٨٥٣م)؛ كان مستشرقًا مهتمًا بتاريخ الهند. من مؤلّفاته: «تاريخ الهند برواية مؤرخيها: الحقبة المحمدية (١٨٦٧- ١٨٧٧م)» في ثماني مجلداتٍ[٣٣]. وله أيضًا «فهرس كتب المؤرخين الذين كتبوا عن الهند الإسلامية». وقد وضع مع ألويس اشبرنجر Aloys Sprenger (١٨١٣- ١٨٩٣م) خطةً لنشر المصادر الأساسية لتاريخ الهند تحت حكم المسلمين، ولم يتسنَّ لهما ذلك لأن مديري شركة الهند الشرقية في لندن لم يضعوا تحت تصرفهما أيَّ مالٍ لتمويل المشروع[٣٤].

[٨] الإنجليزي توماس هنتر Thomas Hunter (١٨٢٣- ١٨٥٧م)؛ تعلّم في مدينة إيبردين ثم تخصَّص في العلم اللاهوتي، وكان رئيسًا للجمعية التنصيرية أيام دراسته في الجامعة، وأُرسل إلى الهند سنة ١٨٥٥م، تعلَّم البنجابية واشتغل في بنجاب لتنصير المسلمين والسِّيخ، وقُتِل أيام الثورة؛ حيث كان يفرّ من بنجاب إلى لاهور ليجد هناك ملجأً يحمي فيه نفسه وأسرته[٣٥].

[٩] الأمريكي س. ج. فندر C.G Pfander (١٨٠٣- ١٨٦٥م)؛ كان مستشرقًا كاثوليكيًا تحول إلى البروتستانتية. تعلم الأردية والفارسية والعربية، وأرسلته كنيسة إنجلترا رئيسًا للمنصِّرينَ في الهند، فاشتغل مستشرقًا ومنصِّرًا فيها، وكتب كتاباتٍ جدليةٍ تُثير الشُّبهات حول العقيدة الإسلامية مثل: «ميزان الحق» بالفارسية ثم ترجم هذا الكتاب إلى الأردية، والعربية[٣٦]، وزاد عليه ترجمة الكتاب

«طريق الحياة» و«مفتاح الأسرار»، وبهذا أثار فندر مجادلاتٍ شديدةٍ مع علماء الإسلام في دهلي وآكره ولُكْهنؤ، كما تزعَّمَ الحملة التنصيرية داخل الهند بإلقاء المواعظ والخطب في الاجتماعات العامة، وقد بلغت به الجرأة أنه كان يتَّخذ درج الجامع الكبير بدلهي منصةً لإلقاء الخطبة من فوقها ما بين العصر والمغرب وذلك تحت حراسة قوات الأمن الإنجليزية.

[١٠] روبرت دوري أوسبورن Robert Durie Osborn (١٨٣٥- ١٨٨٩م)؛ ولد في مدينة آكره (Agra) بالهند. عُرف بجديته الفكرية في القضايا الدينية والسياسية على السواء. تمتَّع بصداقة عالم اللاهوت الإنجليزي ف. د. موريس F. D. Maurice (١٨٠٥- ١٨٧٢م) والمؤرخ والأستاذ الجامعي تشارلز كينغزلي Charles Kingsley (١٨١٧- ١٨٧٥). وأثناء وجوده في الهند، كان طالبًا مجتهدًا للأديان الشرقية، وقضى أربعةَ عشرَ عامًا في دراسة المواد لِعَمَلَيهِ: «الإسلام تحت العرب (١٨٧٦م)»، و«الإسلام في عهد خلفاء بغداد (١٨٧٧م)». كان أوسبورن دائمًا مُناصرًا متحمِّسًا لحقوق الهنود الأصليين، وكان تقاعده من الجيش يرجع إلى حدٍّ كبيرٍ لعدم رضاه عن سياسة لورد ليتون، التي -في رأيه- أهانت مشاعر السكان الأصليين وأثارت بلا داعٍ الحرب الأفغانية البريطانية الثانية(٣٧).

[١١] الفرنسي توماس فالبي Thomas Valeby (١٨٢٥- ١٨٩١م)؛ اختير قسيسًا مكان أبيه في إنجلترا عام: (١٨٤٩م)، وأُرسل إلى الهند سنة: (١٨٥٠م)، وعُيّن عميدًا لكلية التنصير في آكره (Agra) حيث اشتغل ثماني سنواتٍ، وكان حريصًا على تعلُّم اللغات؛ فتعلّم ستَّ لغاتٍ من اللغات الشرقية، فسمي «قسيسًا صاحب سبع لغات seven-tongued evangelist»، وكان يخرج إلى الأسواق ويدعو الناس إلى النصرانية.

وقد أسَّس توماس فالبي مدرسة سانت جون اللاهوتية في لاهور Lahore لتدريب القساوسة المسيحيين الهنود. بعد عدة سنوات من التدريس، عُيّن أسقفًا أنجليكانيًا للاهور في عام ١٨٧٧. ولتشجيع الكنيسة الهندية على الحصول على أفضل تعليم لاهوتي، أسَّس بعثة كامبريدج-دلهي Cambridge-Delhi. وللمساعدة في تأصيل الكنيسة الهندية في الثقافة الهندية، بعيدًا عن المعايير الثقافية الأجنبية، كان رائدًا في إعداد الأدب اللاهوتي الذي يحترم التقاليد الأدبية الهندية، وجرّب أنماطًا محليةً للعبادة تعكس الخلفيات الثقافية لغير الأجانب من المسلمين والهندوس[٣٨].

[١٢] النمساوي ألويس اشبرنجر Aloys Sprenger (١٨١٣-١٨٩٣م) المتجنس بالإنجليزية. اشتُهر بكتابه عن حياة النبي محمد (١٨٥١م)[٣٩]، وتعود علاقته بالهند عندما عُيِّن في القسم الطبي[٤٠] لشركة الهند الشرقية في كلكتا، التي وصلها مستهلَّ عام: (١٨٤٣م). له جهودٌ مختلفةٌ حول التراث الإسلامي نشرها وهو بالهند، منها تحقيق كتاب اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني (ت: حدود ٧٣٠هـ/١٣٣٠م) ونشره في كلكتا عام: (١٨٤٤م)، وكشاف اصطلاحات الفنون للعالم الهندي التهانوي (ت: ١١٥٨هـ/١٧٤٥م) في كلكتا عام: (١٨٦٢م)، وغيرها[٤١].

[١٣] الأمريكي جارلس ويليام فورمين Charles William Forman (١٨٢١- ١٨٩٤م)؛ اشتغل مبشِّرًا في العبيد، وجاء إلى الهند عام ١٨٤٨م، وسكن في كلكتا ثم ذهب إلى بنجاب ثم إلى لدهيانه. وفور أن تسلط الإنكليز على بنجاب بدأ فورمين عمله التنصيري فيها، فجمع التبرعات وفتح المدارس التنصيرية، واشتغل مدرِّسًا ٢٥ سنة في لاهور، وكان معروفًا بفرحه عند

قيامه بأعمال التنصير. أصبح أطفاله هنري وجون وتشارلز وماري وإميلي جميعًا مُبشِّرين مسيحيين مشيخيين إلى الهند(٤٢).

[١٤] الإنجليزي روبرت كلارك Robert Clark (١٨٢٥- ١٩٠٠م)؛ التحق بجامعة كامبريدج لدراسة الأديان، وحصل على شهادة الليسانس عام: (١٨٥٠م)، ودخل الهند عام: (١٨٥٢م)، وفتح مركزًا لأعمال التنصير في مدينة أمرتسر Amritsar، وأسكن النصارى فيها، ونقل بعض الأجزاء من الكتاب المقدس إلى اللغة الأردية بمساعدة المتنصر عماد الدين(٤٣).

[١٥] ويليام موير William Muir (١٨١٩- ١٩٠٥م)؛ كان من أولئك المستشرقين الذين شاركوا في ترويج الفكر الغربي بين أبناء المسلمين بالهند، فنهج على الأسس التي قررها المستشرق البريطاني «**اللورد ميكالي**» لتدريس أبناء المسلمين في الهند، بل وطوَّرها حسب مقتضيات الزمان والمكان، وكانت له علاقةٌ قويةٌ بالسير سيد أحمد خان Sir Syed Ahmad إلى أن كتب كتابه المعروف بـــ«**حياة محمد**» The Life Of Muhammad، وقد كتب هذا الكتاب بإشارةٍ من فندر، فقد استحثَّه أن يكتبَ كتابًا في شأن رسول الإسلام مأخوذًا من المصادر المعتبرة عند المسلمين وأن يكون الكتاب بلغتهم. كما كتب «**القرآن: نظمه وتعاليمه وشهادته للكتب المقدسة**»، وغيرها(٤٤).

[١٦] السير توماس آرنولد Thomas Arnold (١٨٦٤- ١٩٣٠م)؛ تعلم في كامبريدج، وغلب عليه طابع التدريس الجامعي؛ فقضى عدة سنوات في الهند أستاذًا في جامعة عليكرة (١٨٨٨- ١٨٩٨م) وأستاذًا للفلسفة في لاهور (١٨٩٨- ١٩٠٤م) وكذا مساعدًا لأمين مكتبة ديوان الهند (١٩٠٤- ١٩٠٩م)، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات بلندن (١٩٠٤م) ثم اختير عميدًا لها (١٩٢١- ١٩٣٠م)، وهو ممن

شاركوا في تحرير دائرة المعارف، وكان صديقًا لسيد أحمد خان وشبلي النعماني، الذي درّس معه في جامعة عليكرة. درّس آرنولد سيد سليمان الندوي والشاعر والفيلسوف محمد إقبال. من مؤلفاته: الدعوة إلى الإسلام، والهندوكية والإسلام في الهند، والخلافة (١٩٢٤م)، وتراث الإسلام (١٩٣١م)، وغيرها[٤٥]. وصفه عبد الرحمن بدوي بالمستشرق الـ«**متعاطف مع الإسلام**»[٤٦].

[١٧] اليهودي الألماني جوزيف هوروفتس Josef Horovitz (١٨٧٤- ١٩٣١م)[٤٧]. عمل أستاذًا للعربية في جامعة عليكرة بالهند (١٩٠٧- ١٩١٤م) كما اشتغل أمينًا للنقوش الإسلامية في الحكومة الهندية البريطانية. وكان ثمرة هذا العمل أنه نشر مجموعة «النقوش الهندية الإسلامية» Epigraphia Indo-Moslemica (١٩٠٩- ١٩١٢م). كما ألف حول السيرة النبوية (١٩٢٥- ١٩٢٧م)[٤٨].

تلك لمحةٌ موجزةٌ عن أبرز الباحثين الغربيين الذين انحدروا من خلفياتٍ جغرافيةٍ متعددةٍ، واستقروا في الهند، وأسهموا فيها بإسهاماتٍ متنوعةٍ. وقد تفاوتت قيمة هذه الإسهامات بحسب عمق الطروحات المقدمة ومدى تجاوب المجتمع الهندي معها، فضلًا عن مدى توفر الدعم المادي والمعنوي من الدول التي ينتمي إليها هؤلاء الباحثون.

ومن هذا المنطلق، يبرز ويليام كولدساك شخصية الدراسة المحورية، حيث يُعَدُّ امتدادًا طبيعيًا لهذا الإرث الغربي في شبه القارة الهندية، وخاصة في منطقة البنغال. فقد عاش فيها لسنواتٍ طويلة، وأنجز معظم مؤلفاته خلال تلك الحقبة. كما يُعد عمله في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البنغالية عملاً لافتًا، يعكس اهتمامه العميق بالإسلام وثقافته. غير أن هذه الترجمة أثارت جدلًا واسعًا في أوساط المجتمع الإسلامي حينذاك؛ نظرًا لما تضمَّنته من تفسيراتٍ وتأويلاتٍ اعتُبرت مخالفةً لصريح النص القرآني، مما أضفى عليها طابعًا مثيرًا للجدل. وهذا كله وتفصيله سيأتي في المبحث الثالث والأخير من هذا البحث.

المبحث الثالث
ويليام كولدساك في الهند

وُلِدَ ويليام **كولدساك** William Goldsack[٤٩] في ضاحية غلين أوسموند Glen Osmond بجنوب أستراليا في ٢٢ سبتمبر عام: (١٨٧١م) أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتُوفِّي في النصف الثاني من القرن العشرين، عام: (١٩٥٧م)[٥٠]. والده **مارك كولدساك** Mark Goldsack (١٨٤٦- ١٩١٤م)، ووالدته **ماري دالغليش فيرغسون** Mary Dalgleish Ferguson (١٨٤٤- ١٩٠٩م)[٥١].

كان كولدساك مُبشِّرًا تابعًا للجمعية المعمدانية[٥٢] الأسترالية التبشيرية إلى شرق البنغال بالهند[٥٣]. وعادةً ما عُرف بـــ«المبشر المعمداني الأسترالي في شرق البنغال»[٥٤]. انضمَّ إلى هذه الجمعية التبشيرية في مستهل العقد الثالث من عمره، حدود عام ١٨٩٩م؛ حيث أتقن اللغات قبل وضعه في مركز الإرسالية بمقاطعة بابنا Pabna، شرق البنغال، وفيها كرّس عمله للوعظ والتعليم[٥٥].

أبرز ما قام به في بداية طريقه أنه ترجم معاني القرآن إلى اللغة البنغالية عام: (١٩٠٨م)[٥٦]. انتخب بعد ذلك -تحديدًا عام: (١٩١١م)- في لجنة المتابعة الخاصة بالإرساليات إلى المسلمين[٥٧]، وكان ذلك بعد أنْ حضر مؤتمر لُكْهنؤ Lucknow للإرساليات[٥٨]. خدم في جمعية التبشير المعمدانية الأسترالية من عام: (١٨٩٧م) –وكان عمره حينئذ ٢٦ عامًا تقريبًا- حتى عام: (١٩١٢م). وبسبب عدم رضاه عن تعيينات المناطق في الجمعية التبشيرية المعمدانية الأسترالية، انتقل في عام: (١٩١٢م) إلى الجمعية التبشيرية المعمدانية البريطانية[٥٩].

في الأربعينيات من عمره، تحديدًا بين عامي (١٩١٧- ١٩١٨م)، تعلم اللغة العربية في محطات الإرساليات في سوريا لمدة ستة أشهر، وبعد ذلك قضى ستة

أشهر في القاهرة. وقد ألمح الرّحالة السوري حنّا خبّاز (١٨٧١- ١٩٥٥م) إلى ذلك في وصفه لإحدى رحلاته بالهند، قائلًا: «**قضيت في القطار ٤١ ساعة وكان صحبتي جنرال جيش الخلاص وزوجته، فلما بَرِحَا حلَّ محلهما من لاريسا رئيس المرسلين المعمدانيين وهو رئيس كولدساك الذي علمناه العربية في حمص**»[٦٠].

ويبدو أنه زار القاهرة أيضًا مطلعَ عام: (١٩٠٦م)، حيث حضر المؤتمر التبشيري الأول الذي عُقد في القاهرة من ذات العام في المدة من ٤ إلى ٩ أبريل، وقرأ فيه ورقة حول «**كيفية الوصول إلى المسلمين الأميين وتعليمهم**»[٦١].

لم يقتصرْ نشاط كولدساك في الهند على الدعوة والتبشير بالمسيحية بل – وإضافة إلى ذلك– نفذ إلى جامعاتها رفقةَ بعض زملائه لإلقاء المحاضرات في كلية سيرامبور[٦٢] Serampore College، أمثال القس لويس بيفان جونز (تـــ:١٩٦٠م) كان ذلك حدود عام: (١٩٢٠م)[٦٣]. وتُعَدُّ هذه الخطوة في رأي بعض الباحثين تغييرًا رئيسيًا لعملهم[٦٤].

كما عُرف بنشاطه في جمع المخطوطات والوثائق القديمة التي كُتبت بالعربية والأردية من جميع أنحاء آسيا وإفريقيا وجزر الهند الشرقية لأجل دراسة أحوال المسلمين وتزويد رفقائه بها[٦٥]. ويبدو أنه تقاعد عن العمل التبشيري المباشر قبيل عام: (١٩٢٣م) نظرًا لمرضه، إذ لا نجد له نشراتٍ سواء أكانت مقالاتٍ أم كتبًا أم تقاريرَ بعد هذا التاريخ، وهذا يعني أنه مكث حدود ٢٤ عامًا (١٨٩٩- ١٩٢٣م) للعمل، وكانت مدة مناسبة لأن يُؤلِّفَ ما سنراه تفصيلًا في السطور القليلة القادمة.

وقد كانت الترجمة العملية لهذا النشاط ممثَّلة في تشكيلةٍ كبيرةٍ من المؤلَّفات نشر أغلبها في الهند، سلك فيها عدة مسالك (نقدية، وتاريخية، ومقارنة، وفيلولوجة)، منها:

[١] كتاب المسيح في الإسلام ١٩٠٥م (Christ in Islām)؛ ألَّف كولدساك هذا الكتاب ونشره عام: (١٩٠٥م)، ثم تُرجم إلى العربية بإذنٍ خصوصيٍّ منه وصدر عن مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر عام: (١٩٢٤م) في ٥٦ صفحة من القطع المتوسط. اشتمل على: مقدمةٍ، وثمانيةِ فصولٍ، ناقش فيها ما يتعلق بـــ«المسيح، وولادته، والوعد به، وأنه كلمةُ الله وروحه، وشفاعته، وعصمته، ومعجزاته وعجائبه» كل ذلك في ضوء ما اجتزأه من القرآن وحاول التدليل به على صحة فرضياته.

[٢] كتاب القرآن في الإسلام: بحث في مصداقية وسلامة القرآن ١٩٠٦م (The Qurān in Islām) نشر هذا الكتاب عام: (١٩٠٦م) بالإنجليزية، وضمَّنَه مقدمةً وسبعةَ فصولٍ تناول فيها مسألة القراءات القرآنية، وأثار فيه مجموعةً من القضايا كقراءة ابن مسعود، ثم أفرد فصلين لشهادة الإمام الحسين حول القراءات المختلفة للقرآن، ولشهادة القاضي البيضاوي أيضًا. وهو أوضحُ كُتُبِه في التمثيل على المنهجية اللاهوتية في التأليف وطرح الآراء.

[٣] كتاب أصول القرآن: بحث في مصادر الإسلام ١٩٠٦م– ١٩٠٧م (the origins of the qur'an an enquiry into the sources of islam) نَشر هذا الكتاب بجمعية الأدب المسيحي في لندن London ومدراس Madras وكولومبو Colombo عام: (١٩٠٧م). جاء في مقدمةٍ وثلاثةِ فصولٍ، حاول من خلاله إثبات المعتقدات والطقوس السائدة في الأديان الأخرى وامتداداتها (أو دمجها بحسب تعبيره) في القرآن الكريم، مثل: معتقدات الوثنيين وطقوسهم، والمعتقدات والطقوس اليهودية، والمعتقدات والطقوس المسيحية. وهو مثال جيد على تمثل منهجية الإسقاط في قراءة التراث.

[٤] كيفية الوصول إلى المسلمين الأميين وتعليمهم ١٩٠٦م (How to reach and teach illiterate Moslems) وهي ورقةٌ واضحٌ من عنوانها ما المقصود منها، فقد حاول رسمَ صورةٍ لكيفية تعاملهم مع المسلمين في البلدان التي نفذوا إليها لاستمالتهم.

[٥] ترجمة معاني القرآن إلى اللغة البنغالية ١٩٠٨م. تُعَد اللغة البنغالية واحدة من أقدم اللغات التي تُرجمت معاني القرآن الكريم إليها، ويبدو أن أبكرَ هذه المحاولات كانت على يد أمير الدين باسونيا عام: (١٨٠٨م). وكانت أول ترجمة تامة لمعانيه بالبنغالية قام بها جيريش شاندراسن (١٨٣٥- ١٩١٠م) ونشرها عام: (١٨٨٦م). وقد ترجم كولدساك معاني القرآن إلى البنغالية ونشر ترجمته عام: (١٩٠٨م).

[٦] الإله في الإسلام: مدخل إلى التصور الإسلامي عن الإله ١٩٠٨م (God in Islám: an enquiry into the Moslem conception of God) نُشر هذا الكتاب عام: (١٩٠٨م) بجمعية الأدب المسيحي، اشتمل على: مقدمةٍ، وخمسةِ فصولٍ، تكلَّم فيها عن الوحدانية، والصفات الإلهية، وعلاقة الله بالإنسان، ومفهوم التجسيم، وغيرها من القضايا. وهو مِن ضمن المؤلَّفات التي ترجمتها وأرفقتها في آخر هذه الدراسة.

[٧] هل من تحريفٍ في الكتاب الشريف ١٩٠٩م؟ صدر هذا الكتاب باللغة العربية عن المكتبة الإنكليزية بمصر سنة: (١٩٠٩م) في ٤٧ صفحة من القطع المتوسط، وجاء في: مقدمةٍ، وخمسةِ فصولٍ، وكلمةٍ ختاميةٍ. تناول فيه القراءاتِ والوحيَ وقضية جمع القرآن وهو من أكثر كُتُبِه انتشارًا، وعادةً ما عُرف به وكأنه لم يُؤلِّف غيره.

[٨] المحمدون البنغال ١٩٠٩م (the Muhammadans of bengal)، وهي من أهم أوراق كولدساك في تقديري؛ إذْ رصد فيها حضور الإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء الهند مع قدرٍ كبيرٍ مِنَ العدِّ والإحصاءِ، كما صرَّح بتفاصيلَ جدَّ مهمةٍ في فهم حركة الفكر الديني الإسلامي في هذه البلدان.

[٩] محمد في الإسلام: لمحات عن النبي من مصادر إسلامية ١٩١٦م (Muhammad in Islam: Sketches Of Muhammad From Islamic Sources) صدر الكتاب عام: (١٩١٦م) بالهند في ١٠٧ صفحاتٍ، وجاء في جزئين، الجزء الأول بعنوان: «محمدٌ في مكةَ» تناول فيه: العرب في زمنه، وولادته، وحياته المبكرة، وإعلان الرسالة، وخلافاته مع قريش، والهجرة من مكةَ. أما الجزء الثاني بعنوان: «محمدٌ في المدينة» تناول فيه: التشريعات الدينية والاجتماعية، والدعوة للجهاد، وعلاقته –صلى الله عليه وسلم– باليهود، ثم وفاته.

[١٠] السنة في الإسلام: بحث في أصل الحديث المحمدي وصحته ١٩١٩م (The Traditions in Islám). انتهى كولدساك من هذا الكتاب عام: (١٩١٨م) وسطّر مقدمته في جيسور بالبنغال، ونُشر عام: (١٩١٩م) بالإنجليزية، وجاء في ١٠٣ صفحاتٍ موزعةً على ستةِ فصولٍ تناول فيها: أصل الحديث، وأصالته، وجمعه، وعلاقته بالكتاب المقدس، وعلاقته بالقرآن، وغيرها. وقد عبَّر في مطلعه بوضوح عن تطلُّعه إلى ظهور عملٍ أكاديميٍّ شاملٍ باللغة الإنجليزية يضاهي إسهامات جولدتسيهر في الدراسات الإسلامية باللغة الألمانية.

تعقيب

من الواضح أن جنوب آسيا وتخومَها كانت مركزًا مهمًا مارسَ فيه الباحثون – باختلاف جنسياتهم واهتماماتهم– أشغالهم. فبعد هذا الاستعراض لحركة الاستشراق و/أو التبشير في الهند يتبين: **أولًا**: أن هؤلاء السابقين ولئن عُرف أغلبهم بعنايته بعلوم الشرق وحله وترحاله إليه فهناك مَن اعتنى بذات العلوم دون ثبوت الانخراط في أعمال التبشير أو الذهاب إلى هذه الأصقاع بغرض ممارسة الاستشراق الذي يُخدِّم على الكولونيالية، خاصة: **فلهم جيجر** Wilhelm Geiger (١٠٤٣-١٨٥٦م)، والباحثة والمؤرخة الروسية **بيجولفسكايا** Pigulevskaya (١٨٩٤-١٩٧٠م). ومنهم مَن وُلِدَ بالهند، بيد أن نشاطه كان خارجها مثل الإنجليزي **ويليام رايت** William Wright (١٨٣٠-١٨٩٩م)، وغيرهم.

أما ثانيًا: فبريطانيا –وغيرها من الدول– أنجبت جمًّا كبيرًا من الباحثين الذين أُعدوا لمهمة فهم الشرق وعلومه ولغاته وأديانه، ولئن اشتهرت هذه الدولة بتحيُّزِها فإنَّ التعميمَ فيه قدرٌ من المجازفة؛ إذْ عرفنا قدرًا كبيرًا من التناول الإيجابي، ولا أدلَّ على هذا من **هنري ستوب** Henry Stubbe (١٦٣٢-١٦٧٦)؛ الباحث الإنجليزي الاستثنائي الذي تحدى معاصريه من خلال كتابة مقال عن الإسلام كوحيٍ توحيديٍّ متصلٍ باليهودية والمسيحية. وعمله الرئيس: The Originall & Progress of Mahometanism ، كان أولَ نصٍّ إنجليزيٍّ يوثِّقُ حياةَ النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بإيجابيةٍ، ويحتفي بالقرآن بوصفه وحيًّا إلهيًّا، ويُشيد بتسامح المسلمين تجاه المسيحيين، مما يُقوِّض تراثًا طويلًا من التحامل والعداء الأوروبي(٦٦).

يُضاف إلى ذلك المستشرق **بولانفلييه** Boulainvilliers (١٦٥٨-١٧٢٢م)، وهو أولُ أوروبيٍّ أنصفَ النبيَّ محمدًا بكتابه «حياة محمدٍ» الذي طُبع

سنة: (١٧٣٠م)[٦٧]. والألماني **ريسكه** Reiske (١٧١٦-١٧٧٤م) الذي بَغَضَه بنو جلدته من اللاهوتيين أشدَّ البغض «لأنه مجَّد الإسلامَ و لم يرافئهم على أكاذيبهم واتهاماتهم الدِّينية للنبي وللإسلام بعامة»[٦٨]، إضافةً إلى ذلك **توماس كارلاى** Thomas Carlyle الذي تبنَّى الرؤية القائلة أن الإسلام «تعبيرٌ أصيلٌ عن الاحتياج البشري للمُقدَّس، وأنه وهو على هذا النحو يحمل في نفسه القيم الخاصة به»[٦٩]. والإيطالي **دانكونا** D'ANCONA (١٨٣٥-١٩١٤م) الذي أفرد دراسةً بعنوان: «**أسطورة محمد في الغرب**»، وقد نشرها في الجريدة التاريخية للأدب الإيطالي سنة: (١٨٨٩م)[٧٠].

فيُفهم من ذلك كله أنَّ تلقِّي العقيدة الإسلامية في الأوساط الفكرية الغربية -خاصة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين- شطرَها لشطرَين كبيرَين، يمكن تسميةُ أولهما بـــ«الشطر التشنيعيِّ» الذي يتعامل أنصاره مع الإسلام بوصفه هرطقةً، ويستكثرون عليه أيةَ خصيصةٍ تميِّزُه، وثانيها «الشطر التبجيلي» وهو على النقيض من الأول، حيثُ يرى أصحابه مركزية الإسلام وخصوصيته. ويخيَّل إليَّ أن كليهما ليس في صالح دراسة الفكر الإسلامي! حيث إن «الشطر العلمي» وهو الثالث المفقود، الذي يدرس أصحابه تاريخ الأديان بأمانةٍ ونزاهةٍ غيرَ آبهينَ بمختلف التحيزات الفكرية والمذهبية في أوطانهم هو السبيل لفهم حقائق الأمور وبواطنها.

□قائمة بأهم المراجع

أولًا: المراجع العربية

١. إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي- القاهرة ٢٠١٧م.

٢. أرثر ج. آربري، الأدب الإسلامي الفارسي، ضمن: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة: د. عبد الرحمن محمد أيوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

٣. أرثر ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، تعريب: محمد الدسوقى النويهى، لندن، كوليتر ١٩٤٦م.

٤. أودين أ. كالفبرلي، الدين الإسلامي، ضمن: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة: د. عبد الرحمن محمد أيوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

٥. تسيدال، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، بدون سنة نشر، يطلب من المكتبة الإنكليزية بشارع المساحة نمرة ٤٢ بمصر.

٦. جون سي. بلر، مصادر الإسلام، ترجمة : مالك المسلماني، المركز الأكاديمي للأبحاث ٢٠٢٤م.

٧. جي. جي. كلارك، التنوير الآتي من الشرق: اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي، ترجمة: شوقي جلال، مؤسسة هنداوي- القاهرة ٢٠٢٤م.

٨. حنّا خبّاز، حول الكرة الأرضية، مطبعة جريدة الوطن في سنتياغو-تشيلي، الطبعة الثانية، بدون سنة نشر.

٩. سعيد هندي، أثر الاستشراق على المنهج العقدي بالهند، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة، العام الجامعي ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٠. شاشي ثارور، إمبراطورية شريرة: ما فعلته بريطانيا في الهند، جليس للنشر والتوزيع ٢٠٢٠م.
١١. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.
١٢. عدنان سيلاجيتش، مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام: تاريخ الحوار بين الأديان، ترجمة: جمال الدين سيد محمد، المركز القومي للترجمة، ط١/٢٠١٦م.
١٣. محمد عبد القادر محمد، تاريخ شبه القارة الهندية: الهند وباكستان وبنجلاديش في القرن التاسع عشر والعشرين، مجموعة النيل العربية، القاهرة ٢٠١٨م.
١٤. محمود حمدي زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٥. منير الإسلام بن نظام الدين، دراسات اللغة العربية في البنغال الغربية، ضمن كتاب: الثقافة العربية في الهند، تحرير: خلدون سعيد صبح وآخرون، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض ١٤٤٥هـ.
١٦. هوستن سميث، أديان العالم، تعريب وتقديم وحواشي: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
١٧. وائل حلاق، ما هي الشريعة؟، ترجمة: طاهرة عامر وطارق عثمان، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت ٢٠١٦م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1. Anthony, David W. (2010). The Horse, the Wheel, and Language: How Bronze-Age Riders from the Eurasian Steppes Shaped the Modern World. Princeton University Press.

2. Baptist Union Conference. National Library of Australia. Trove.nla.gov.au. September 22, 1911.
3. Bennett, C. (1988). A theological appreciation of the Reverend Lewis Bevan Jones (1880-1960). Baptist Quarterly, 32.
4. Blocher, J. A., & Blandenier, J. (2012). The evangelization of the world: A history of Christian missions. William Carey Publishing.
5. Boase, G. C. (1895). Osborn, Robert Durie. In Dictionary of National Biography, 1885-1900.
6. Cannon, Garland (August 1978). Sir William Jones and Anglo-American Relations during the American Revolution. Modern Philology. 76 (1): 43–44.
7. Cohn, Bernard S. (1996). Colonialism and Its Forms of Knowledge: The British in India. Princeton: Princeton University Press.
8. F. E. Elberling. (1845). Description of Serampore: Its Population, Revenues, and Administration under the Danish Government. Commissioner of the Division.
9. Goldsack, W. (1906). How to reach and teach illiterate Moslems. In Method of Mission: Work among Moslems: Being Papers read at the first missionary Conference on behalf of the Mohammedan World held at Cairo, april 4th-9th 1906 ([E. M. Wherry, J. A. Lepsius, W. Goldsack, ... et al.], Eds.(.
10. Israeli, R. (2002). Islam in China: Religion, ethnicity, culture, and politics. Lexington Books.
11. Kerr, D. A. (1998). French, Thomas Valpy. In G. H. Anderson (Ed.), Biographical dictionary of Christian missions. Macmillan Reference USA.
12. Mangalwadi, V. (1999). The legacy of William Carey: A model for the transformation of a culture. Crossway Books.

13. Rahman, M. (2023). Studies and evaluation on the translations of the Holy Quran in Bengali during the British colonial time in the Indian sub-continent. International Journal of Social, Political and Economic Research, 10(1.(
14. Sajāwandī, S. A. M. I. M., Jones, W. & Rumsey, A. (1890) Al Sirajiyyah, or, the Mahommedan law of inheritance. Calcutta: Thacker, Spink.
15. Thomas, T. Jacob (1994). Interaction of the Gospel and Culture in Bengal. Indian Journal of Theology. Serampore College Theology Department and Bishop's College, Kolkata. 36 (2): 46, 47.

الهوامش والإحالات:

(١) أرثر ج. آربري، الأدب الإسلامي الفارسي، ضمن: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة: د. عبد الرحمن محمد أيوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م، ص١١٢.

(٢) للمزيد راجع: شاشي ثارور، إمبراطورية شريرة: ما فعلته بريطانيا في الهند، جليس للنشر والتوزيع ٢٠٢٠م.

(٣) انظر للاستزادة: محمد عبد القادر محمد، تاريخ شبه القارة الهندية: الهند وباكستان وبنجلاديش في القرن التاسع عشر والعشرين، مجموعة النيل العربية، القاهرة ٢٠١٨م، ص١٦٧ وما بعدها.

(٤) أرثر ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، تعريب: محمد الدسوقى النويهى، لندن، كوليتر ١٩٤٦م، ص١٠.

(٥) انظر: جون سي. بلر، مصادر الإسلام، ترجمة : مالك المسلماني، المركز الأكاديمي للأبحاث ٢٠٢٤م، التمهيد بقلم: تيسدال، ص٧. وقارن أيضًا كتاب: تسيدال، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، بدون سنة نشر، يطلب من المكتبة الإنكليزية بشارع المساحة نمرة ٤٢ بمصر.

(٦) انظر: آربري، المستشرقون البريطانيون، ص١٠.

[٧] وحسبك في هذا الصدد: جي. جي. كلارك، التنوير الآتي من الشرق: اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي، ترجمة: شوقي جلال، مؤسسة هنداوي– القاهرة ٢٠٢٤م.

[٨] انظر: آربري، المستشرقون البريطانيون ، ص١٠.

[٩] انظر: المرجع السابق، ص١٠–١١.

[١٠] ولتحقيق هذا الهدف الطموح، لم يعتمد المبشرون فقط على حماسهم الديني، بل لجأوا إلى سلاح المعرفة، فدرسوا الإسلام والديانات الأخرى بعمق، محاولين فهم عقول تلك الشعوب وقلوبها. لقد رأوا في هذه المعرفة مفتاحًا يمكنهم من فتح الأبواب المغلقة، وتسهيل مهمتهم. وهكذا، تحولت رحلاتهم إلى الشرق من مجرد محاولات لنشر المسيحية إلى رحلات استكشافية ثقافية ودينية، حيث لم يقتصر تأثيرهم على ما جاؤوا لنشره، بل تأثروا هم أنفسهم بثقافات الشرق وعقائده، في تفاعلٍ تاريخي معقد ومثير للاهتمام.

[١١] وفي رأي بعض الباحثين أن مثل هذه الكتب حتى وإن كانت نوع من الدعاية التي يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والأوروبيين، فإنها ولا شك تذكر معلومات صحيحة وعادلة كان ينبغي أن تعرف عن المسلمين منذ عهد طويل في مختلف البلاد. ولا شك أن المقصد النبيل الذي يسعى إليه مؤلفو هذه الكتب، سيكون أساسًا للتفاهم بين الغرب والشرق، ومن ثم للتفاهم بين مختلف الشعوب الإنسانية؛ انظر: أودين أ. كالفبرلي، الدين الإسلامي، ضمن: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ص١٥٦.

[١٢] انظر: آربري، المستشرقون البريطانيون، ص١٠–١١.

[١٣] وفي هذا الصدد، يرى برنارد كوهن **Bernard S. Cohn** في تحليله ودراسته عن «الكولونيالية وأشكال المعرفة: البريطانيون في الهند» أن جهود المستشرقين البريطانيين في دراسة اللغات الهندية كانت ركيزة أساسية في المشروع الكولونيالي الهادف إلى الهيمنة والتحكم. كما يشدد على أن مجالًا من مجالات السلطة الكولونيالية، بدا ظاهريًا أكثر هدوءاً وانفتاحًا على التأثيرات المحلية –ولا سيما القانون– تحوّل في الواقع إلى أداة لإحياء مفاهيم بريطانية خاصة حول كيفية إدارة مجتمع كولونيالي يتشكّل من «الآخرين». ويبيّن كيف أن الخيال الاستشراقي ذاته، الذي أنتج مجموعات أثرية مبهرة، وكنوزًا تنقيبية، واستكشافات فوتوغرافية، كان في جوهره وسيلة لصياغة صورة عن الهند يمكن تعبئتها بسهولة، وتصويرها على أنها أدنى، ومن ثمّ تسهيل حكمها؛ انظر:

Cohn, Bernard S. (1996). Colonialism and Its Forms of Knowledge: The British in India. Princeton: Princeton University Press.

(١٤) منير الإسلام بن نظام الدين، دراسات اللغة العربية في البنغال الغربية، ضمن كتاب: الثقافة العربية في الهند، تحرير: خلدون سعيد صبح وآخرون، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض ١٤٤٥هـ، ص٢٥٨. وقارن أيضًا: محمد عبد القادر، تاريخ شبه القارة الهندية، ص٧٧، ص١٤٤، ص١٤٥.

(١٥) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م، ص٢٠٧- ٢٠٩؛ أرثر جون آربري، الأدب الإسلامي الفارسي، ضمن كتاب: الشرق الأدنى مجتمه وثقافته، ص١٠٤؛ إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي- القاهرة ٢٠١٧م، ص١٢١.

(١٦) وهو الباحث غارلاند كانون، في ورقته المنشورة بعنوان: «السير ويليام جونز والعلاقات الأنجلو-أمريكية أثناء الثورة الأمريكية» المنشورة عام: (١٩٧٨م):

Cannon, Garland (August 1978). Sir William Jones and Anglo-American Relations during the American Revolution. Modern Philology. 76 (1): 43–44.

(١٧) لمزيد من التفصيل راجع كتاب «الحصان والعجلة واللغة: كيف شكّل راكبو العصر البرونزي من السهوب الأوراسية العالم الحديث» لعالم الأنثروبولوجيا ديفيد أنتوني:

Anthony, David W. (2010). The Horse, the Wheel, and Language: How Bronze-Age Riders from the Eurasian Steppes Shaped the Modern World. Princeton University Press, p. 6.

(١٨) انظر: إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ص١٢١-١٢٢.

(١٩) وفي رأي وائل حلاق أن مسوغ صياغة هذا النظام الغريب من داخل القانون الإسلامي والهندوسي مصاغًا بلغة جعلت منه قانونًا معضلًا، ومقولبًا في شكل غير نسقي يعوزه الاتساق، واعتباطيًا -صفات سوف يتم ضبطها لاحقًا عبر عملية نمذجة سوسيولوجية مبدعة، لن تتم على يد من هو أقل شأنًا من ماكس فيبر نفسه؛ انظر: وائل حلاق، ما هي الشريعة؟، ترجمة: طاهرة عامر وطارق عثمان، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت ٢٠١٦م، ص٨٨.

(٢٠) نشر في كلكتا؛ انظر:

Sajāwandī, S. A. M. I. M., Jones, W. & Rumsey, A. (1890) Al Sirajiyyah, or, the Mahommedan law of inheritance. Calcutta: Thacker, Spink.

(٢١) انظر: وائل حلاق، ما هي الشريعة؟، ص٩٠-٩١.

(٢٢) المرجع السابق، ص٩٢-٩٣.

(٢٣) للمزيد بشأنه انظر ما ورد في كتاب «تبشير العالم: تاريخ الإرساليات المسيحية» لجاك بلوخر وجاك بلاندنير:

Blocher, J. A., & Blandenier, J. (2012). The evangelization of the world: A history of Christian missions. William Carey Publishing, P. 317.

(24) Ward, W. (1863). Account of the writings, religion, and manners of the Hindoos (5th ed., abridged). Madras.

(25) Ward, W. (1821). Farewell letters in Britain and America on returning to Bengal in 1821. London.

(26) Ward, W. (1823). Brief memoir of Krishna-Pal, the first Hindoo, in Bengal, who broke the chain of the cast by embracing the Gospel (2nd Ed.). London.

(٢٧) انظر لمزيد من التفصيل ما كتبه بشأن قواعد اللغة الصينية:

Marshman, J. (1814). Elements of Chinese grammar. Printed at the Mission Press, Serampore.

(٢٨) للمزيد راجع: «وصف سيرامبور: سكانها، إيراداتها، وإدارتها تحت الحكم الدنماركي» لمؤلفه إ.ي. إلبيرلينغ:

F. E. Elberling. (1845). Description of Serampore: Its Population, Revenues, and Administration under the Danish Government. Commissioner of the Division. P. 4.

(٢٩) انظر لمزيد من التفصيل كتاب سونيل ك. شاترجي:

Chatterjee, S. K. (1987). Hannah Marshman: First woman missionary in India. India.

(٣٠) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٧٥.

(٣١) لمزيد من التفصيل انظر دراسة جاكوب حول تفاعل الإنجيل والثقافة في البنغال:

Thomas, T. Jacob (1994). Interaction of the Gospel and Culture in Bengal. Indian Journal of Theology. Serampore College

Theology Department and Bishop's College, Kolkata. 36 (2): 46, 47.

(٣٢) للمزيد راجع ما سطره الكاتب والفيلسوف الهندي فيشال مانغلوادي في كتابه المسمى بـــ«تراث ويليام كاري» المنشور عام: (١٩٩٩م):

Mangalwadi, V. (1999). The legacy of William Carey: A model for the transformation of a culture. Crossway Books. P. 25.

(33) Elliot, H. M. (1867). The history of India, as told by its own historians: The Muhammadan period. Trübner & Co.

(٣٤) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٩.

(٣٥) انظر: سعيد هندي، أثر الاستشراق على المنهج العقدي بالهند، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة، العام الجامعي ١٤٢٣هـــ-٢٠٠٣م، ص٨.

(٣٦) ميزان الحق، لصاحب المناظرة الدكتور فاندر، نقحها وأضاف عليها نتائج الاكتشافات الحديثة جناب العلامة البحاثة: الدكتور تسدل، ملتزم الطبع والنشر مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر، سنة ١٩٢٣م.

(٣٧) للمزيد حوله راجع ما ورد في قاموس السيرة الوطنية:

Boase, G. C. (1895). Osborn, Robert Durie. In Dictionary of National Biography, 1885-1900, p. 42.

(٣٨) للمزيد حوله راجع ما ورد في قاموس السيرة الذاتية للبعثات المسيحية:

Kerr, D. A. (1998). French, Thomas Valpy. In G. H. Anderson (Ed.), Biographical dictionary of Christian missions. Macmillan Reference USA, p. 227.

(٣٩) لقى كتاب «حياة النبي محمد من منابعها الأولى» استحسان الباحثين الغربيين، فاستفاد منه المؤرخون وعلماء الدين على مرِّ الأجيال، وما زال مرجعًا أساسيًا في الدراسات الإسلامية. يروي فيه المؤلِّف بإسهاب ودقة قصة حياة النبي محمد مُستقيًا المادة العلمية من مصادرها الأصيلة كالقرآن الكريم والسنة النبوية وكتب السيرة والتاريخ. ويتناول الكتاب سيرة النبي منذ ولادته ونشأته، مرورًا ببعثته ونزول الوحي، وصولاً إلى هجرته إلى المدينة وانتشار الإسلام. كما يسلط الضوء على جهود النبي في نشر الدين وتأسيس الدولة الإسلامية وبناء حضارة فريدة من نوعها؛ راجع:

Sprenger, A. (1851). The life of Mohammad: From original sources. Presbyterian Mission Press.

(٤٠) انظر: إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ص١٢١.

(٤١) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٨. وأيضًا: محمود حمدي زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص١٦١-١٦٤.

(42) **Gerald H. Anderson, Biographical Dictionary of Christian Missions, p. 102.**

(٤٣) انظر لمزيد من التفصيل:

Gerald H. Anderson. Biographical Dictionary of Christian Missions, p. 136.

(٤٤) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٧٨.

(٤٥) انظر للمزيد ما كتب حوله ضمن مواد الموسوعة الإيرانية:

Robinson, B. W. (1986). ARNOLD, THOMAS WALKER. In Encyclopaedia Iranica, II/5, 517-518.

(٤٦) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٩.

(٤٧) انظر: المرجع السابق، ص٦٢١.

(٤٨) جاء كتابه الذي بعنوان «أقدم السير النبوية ومؤلفوها» في مجلدين، وهو دراسة رائدة حول المؤرخين العرب والمسلمين المبكرين. تتتبع هذه الدراسة ظهور وتنامي تقاليد السيرة من جيل المسلمين الذين تبعوا وفاة النبي وحتى السيرة لابن سعد في القرن التاسع، ومن ثم تغطي هذه الدراسة العديد من أهم التطورات في المرحلة التكوينية للكتابة التاريخية العربية الإسلامية:

Horovitz, J. (1927-1925). The earliest biographies of the Prophet and their authors (Translated by M. Pickthall). Islamic Culture, 1-2.

(٤٩) يمكن كتابة اسمه بأكثر من رسم؛ فـ (G) في (Goldsack) على طريقة مشارقة المترجمين «جولدساك»، أما على طريقة المغاربة «غولدساك». بيد أنني رسمته «كولدساك» لّما وجدت أن كتابه: «المسيح في الإسلام» الذي نُقل للعربية بإذن خصوصي منه قد رُسِمَ اسمه عليه «كولدساك».

(50) **Bennett, C. (1988). A theological appreciation of the Reverend Lewis Bevan Jones (1880-1960). Baptist Quarterly, 32, p. 250.**

(٥١) انظر للاستزادة ما ورد عنه وأسرته في منصة الأنساب التعاونية (geni.com):

https://www.geni.com/people/William-Goldsack/324460439670005490

(٥٢) المعمدانيون: «مذهب بروتستانتي يساري النزعة، يقول أتباعه بأن المعمودية يجب ألا تتم إلا بعد أن يبلغ المرء سن تمكنه من فهم معناها كما نادى بتحرير العبيد وحرية العقيدة»؛ انظر: هوستن سميث، أديان العالم، تعريب وتقديم وحواشي: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص١٦.

(53) Islam - Essays in Scripture, Thought and Society: A Festschrift in Honour of Anthony H. Johns. (1997). Brill. P. 87.

(54) Lammens, Henri (2007). Was Mohammed Sincere? The Muslim World. 5 (3): 262–267.

(55) Gerald H. Anderson, Biographical Dictionary of Christian Missions, P. 248.

(56) Israeli, R. (2002). Islam in China: Religion, ethnicity, culture, and politics. Lexington Books. P. 187.

(57) Baptist Union Conference. National Library of Australia. Trove.nla.gov.au. September 22, 1911. p. 12.

(58) Lucknow 1911, the Christian Literature Society for India, London, Madras and Colombo, p: 13, 17, 34, 129, 158, and 281.

(59) Bennett, C., A Theological Appreciation, P. 250.

(٦٠) حنّا خبّاز، حول الكرة الأرضية، مطبعة جريدة الوطن في سنتياغو–تشيلي، الطبعة الثانية، بدون سنة نشر(١/٧٥). فقد كانت الضرورة الملحة لخدمة حركات التبشير في صورتها المعادية للعقيدة الإسلامية تعلم أربابها اللغة العربية؛ إذ لما كانت العربية هي التي نزل فيها القرآن ويتحدث بها أغلب المنتمين إلى الإسلام كان من الطبيعي إتقانها، وكانت بلاد الشرق هي وجهتهم الأهم في سبيل ذلك، ولدينا قائمة طويلة بمن أتقنوا العربية من المبشرين المستشرقين إضافة إلى ويليام كولدساك: ريموندو مارتيني (تـ:حدود١٢٨٤م)، وريكولدو (تـ:١٣٢٠م)، وجوادنبولي (تـ:١٦٥٦م) الذي أتقن العربية وقام بتدريسها في جامعة روما، وجرمانوس (تـ:١٦٧٠م) الذي سافر إلى فلسطين للتمكن منها، وغيرهم؛ انظر للمزيد من التفصيل: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١٨٠، ص١٨٩، ص٣٠٦، ص٣٠٩.

(61) Goldsack, W. (1906). How to reach and teach illiterate Moslems. In Method of Mission: Work among Moslems: Being Papers read at the first missionary Conference on behalf of the Mohammedan World held at Cairo, april 4th-9th 1906 ([E. M. Wherry, J. A. Lepsius, W. Goldsack, ... et al.], Eds.), pp. 29-40.

(٦٢) تقع في مدينة سيرامبور في ولاية البنغال الغربية في الهند. تأسست في عام: (١٨١٨م)، وهي ثاني أقدم كلية في البلاد بعد كلية بريزدينسي كلكتا Presidency College Calcutta وهي واحدة من أقدم المعاهد التعليمية في الهند.

(63) **Bennett, C. A Theological Appreciation, p: 240.**

(٦٤) كما تأثر كولدساك بجورج هنري راوز **George Henry Rouse** (١٨٣٨-١٩٠٩م)، رئيس دار الصحافة والنشر التبشيرية المعمدانية في كلكتا Calcutta، غرب البنغال، كرَّس نفسه للدراسات الإسلامية. واتساقًا مع هذا كتب العديد من النشرات الجدلية الدفاعية (Apologetics)؛ انظر للمزيد:

Rahman, M. (2023). Studies and evaluation on the translations of the Holy Quran in Bengali during the British colonial time in the Indian sub-continent. International Journal of Social, Political and Economic Research, 10(1). P. 33.

(65) **See: The Missionary Review of the Word, 1911, Vol. XXIV, p: 279.**

(٦٦) وقد قام نبيل مطر -أحد كبار الباحثين في العلاقات البريطانية الإسلامية-، بتوحيد نص هنري ستوب ووضعه في إطار المناخ اللاهوتي والفكري في إنجلترا في القرن السابع عشر. وأظهر كيف اعتمد ستوب، لرسم صورة تاريخية لمحمد، على كتب الرحلات، والتعليقات اللاتينية، والدراسات حول العادات والكتب اليهودية، والأهم من ذلك، المدونات العربية، الكثير منها كُتب من قبل مسيحيين عرب في العصور الوسطى عاشوا في صميم الدولة الإسلامية. لم ينتج أي كاتب أوروبي قبل ستوب أو لحقبة طويلة بعده أي شيء مشابه لما كتبه عن محمد «النبي العظيم»، وعلي «المدافع الشجاع»، و«المعجزة الخالدة» للقرآن. لذا، يُسهم كتاب ستوب إسهامًا منقطع النظير في دراسة تمثيل الإسلام في الفكر الغربي؛ للمزيد انظر:

Stubbe, H. (2013). The originall & progress of Mahometanism (Edited by N. Matar). Columbia University Press.

(٦٧) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١٤٢.

(٦٨) المرجع السابق، ص٣٠٠.

(٦٩) عدنان سيلاجيتش، مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام: تاريخ الحوار بين الأديان، ترجمة: جمال الدين سيد محمد، المركز القومي للترجمة، ط١/٢٠١٦م، ص١٤٨، وأيضا: ص١٥٠.

(٧٠) وفي هذه الدراسة يبين دانكونا وحدة الأسطورة التي زورها القوم في أوروبا عن سيرة النبي محمد وكيف أنها صِيغت على قالب الأساطير الخاصة بكبار المبتدعين في المسيحية مثل شمعون الساحر أو الشماس نقولا؛ انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٤٣.